فيلم «المهد» أول إنتاج سينمائي إماراتي:
الاخراج لمحمد ملص والسيناريو لوزير الثقافة السوري!

تدمر ـ «القدس العربي»
ـ من أنور بدر:

التاريخ أم استلهامه؟ تلك كانت الإشكالية الأساسية في المؤتمر الصحافي الذي عقدته أسرة فيلم «المهد»، حيث تجري حاليا عمليات التصوير في مدينة تدمر الأثرية وسط سورية، إذ بنت شركة الريف الإماراتية المنتجة للفيلم مدينة سينمائية خاصة لهذه الغاية، بعد أن تعذر التصوير في إمارة الفجيرة لشدة الحر.

و«المهد» يعتبر أول فيلم روائي طويل إماراتي، يحمل توقيع محمد ملص مخرجا، ويشارك في تمثيله عدد من الفنانين العرب والسوريين، لكن مروحة الفنيين المشاركين في تنفيذ هذا الفيلم تتسع للكثير من الأسماء العربية والعالمية، والتي تهدف الشركة المنتجة من وراء توظيفها لمحاولة الوصول إلى مستوى عالمية الإنتاج، بينما يذهب موضوعه في التقاط لحظة تاريخية قد تشي بموقف الأنا تجاه الآخر، أو الأمة إزاء غزو خارجي، كما صاغها الكاتب حمدي البصير كقصة، إلا أن الدكتور رياض نعسان آغا الذي قام بكتابة السيناريو حاول توظيف معطيات محددة من التاريخ دون سواها، فيما أسماه استلهام التاريخ، مضيفا خط أبرهة الحبشي الذي غزا مكة المكرمة في عام الفيل، وهو عام مولد الرسول العربي محمد بن عبد الله،مستبعدا الخوض في إشكالية المقدس الديني لصالح التأكيد على الهوية القومية في عمقها الزمني والأنطولوجي أيضا.

شارك في المؤتمر الصحافي كل من الدكتور القلعة والمخرج ملص مع السيد هاشم قيسية مسؤول شركة «الريف» المنتجة، بالإضافة للسيناريست حمدي يوسف والممثل هشام عبد الحميد من مصر، والممثل السوري الكبير خالد تاجا، وقد حضرت «القدس العربي» وشاركت في هذا المؤتمر الصحافي.

تحدث الدكتور رياض نعسان آغا بداية عن فكرة الفيلم قائلا:

■ هذا الفيلم ثمرة تعاون فني عربي كبير، بإنتاج إماراتي وإخراج وسيناريو سوري، وكوكبة من الممثلين والفنيين العرب والأجانب، شاء منه فريق العمل فيلماً على مستوى عال يطرق باب العالمية، وهيأ لإنجاحه كافة الظروف المادية والفنية.

فكرته الأساسية تدور حول كيف تتصرف الأمة حين تتعرض لغزو خارجي يريد طمس هويتها. وهو يُجسّد ردة فعل الأمة حين يأتيها غزو خارجي، وقد تبلورت الفكرة عندما قدمها الكاتب حمدي البصير الذي كتب قصة الفيلم.

ومع اكتمال الفكرة ـ يضيف الدكتور نعسان آغا ـ قال لي الأستاذ هاشم قيسية من تقترح علينا مخرجا لهذا الفيلم، وعلى الفور قلت المخرج محمد ملص، الذي تمكن عبر مسيرته الفنية الطويلة من أن ينشئ ويشق لنفسه طريقا هاماً عبر أفلامه المهمة، التي طرح خلالها قضايا هامة بحس جمالي متميز.

هذا الاقتراح ورطني بكتابة السيناريو، فقمت بإعادة صياغة الفيلم وكتبت سيناريو له وقمت بتحويل القصة ما بين التاريخ والاستلهام منه، وما بين التاريخ والواقع.. هذه المحاولة جعلتني أتعلم الكثير عن السينما من صديقي محمد ملص، واعترف لكم أني كتبت السيناريو ثلاث مرات وأنا سعيد جدا بذلك.

■ هل تعاطيتم مع الفيلم كوثيقة تاريخية أم كفن جمالي محض، وكيف استطعتم التغلب على تحدي التاريخ الذي واجهتموه في الفيلم، وكيف تعاملتم مع المقدس بوصفه يتناول مرحلة تاريخية مهمة قبل ظهور الإسلام؟

■ لا أدري إن كان هذا الأمر غائما أو واضحا لان الفيلم لم ينته تصويره بعد. بالنسبة لي فأنا أضفت خط أبرهة الحبشي لموضوع الفيلم ، لان أبرهة غزا هذه الأمة في العام الذي ولد فيه النبي المصطفى، وهو ما يسمى عام الفيل، وكان غزو أبرهة يهدف إلى طمس الهوية العربية، عندما أقحمت أبرهة في الفيلم بوصفه جاء لليمن وأقام فيها مملكته و بنى فيها كنيسته، وبالتالي كان لديه مخطط أن يهدم البيت (الكعبة المشرفة)، كان يعنيني أن استنبط وأستبعد المقدس من الرموز، فالفيلم يفصل بين ديانة أبرهة المسيحي وبين كونه ينفذ غزواً. لم يكن أحد من الجزيرة العربية قبل الإسلام يقاوم المسيحية ولا يوجد في تاريخنا القديم أي حكاية أو أي راوية لمؤلف تذكر مقاومة مسيحية، كان هناك تعددية في الجزيرة العربية.. كانت هناك المسيحية واليهودية، لذلك فالمسألة أعمق وأبعد من المقدس الديني.

لقد تعاملت مع الكعبة بوصفها رمزاً للهوية العربية والفيلم يذكرها على أنها ليست مقدسا دينيا وإنما هي رمز، والفكرة الأساسية هي الغزو. وهنا أنا لا أُزوِّر التاريخ، أنا أُقدّم لوحة مستوحاة من التاريخ، ومهمة الفن فيها أن يحاكي التاريخ ويجاريه ويماشيه ويعيد قراءاته، باختصار: الفيلم ليس تاريخياً ولكنه لا يخالف الوثائق. كذلك الفن ليس بحثاً أكاديمياً، إلا أنه بالمقابل ليس قرصنة،ولا يحق للفن أن يزيّف التاريخ، وهذه علاقة جدلية بين الفن والتاريخ.

ووصف الدكتور وزير الثقافة عمليات التحضير للفيلم بالقول: (كنا نعمل معا ونلتقي كل ليلة لساعات طويلة وكان هذا الحوار المعمق ينعكس على رؤية أوسع للفيلم.. والرؤية كانت رائعة، سرعان ما وسعت من خلال مطالب الأستاذ محمد ملص الذي يقدر الإبداع المتميز على صعيد السينما، فقام بالاستعانة بخبرات أجنبية بالإضافة إلى وجود فنانين كبار من مصر ولبنان والأردن وتونس وغيرها من الدول العربية، وكذلك من الدول الأوروبية، وهذا التجمع يعكس رؤيتنا للثقافة المشتركة التي تجمعنا معا، وحول الإنتاج ذكر قائلاً: أعلم أن إنتاج الفيلم هو مغامرة كبيرة وهو مكلف في زمن سينما تستعجل الأرباح.

■ لماذا العودة إلى المواضيع التاريخية الآن..؟

■ أنا لم أكتب نصاً تاريخياً، إنني استلهم من التاريخ، والفيلم السينمائي ليس أطروحة ماجستير تقدم في كلية التاريخ، وأنا لست في هذا النص باحثاً أكاديمياً، بالطبع درست المرحلة التاريخية دراسة معمقة، ولكني بعد أن قرأت في تراثنا استبعدت أكثر من 80 % من المعلومات، فأنا لا أريد عبرها إلا قراءاتي لما ينفعني كفيلم سينمائي، أما لماذا تم اختيار أبرهة؟ فلأنه أجنبي جاء ليغزو أمتنا واعتقد أن اختياري وخياري لقصة جيش أجنبي يغزو أمتنا لن يكون سرا أو لغزاً فالصحافيون والمشاهدون سيعرفون فيما بعد لماذا أبرهة، وما الرسالة التي سيحملها الفيلم...

■ هل هدفتم إلى إسقاطات معاصرة من وراء الرؤية التاريخية لهذا الفيلم؟ وإذا كان الخطاب الفكري للفيلم يتحدد بخطوطه العريضة ويحدد الصراع وفق إطار قومي، ألا ترون أن الحرب الأمريكية التي نعيشها الآن تجاوزت أي بعد قومي خاصة وأن الرد على ما تفعله أمريكا الآن هو عالمي أيضاً؟

■ أنا لا أزج أمريكا في فيلم «المهد» ولا أتوقف عند مفهوم القومية لأن الفيلم يتحدث عن مرحلة ما قبل سايكس بيكو.. والفيلم ينظر إلى العرب كقبائل من أمة عربية وليس كدول، قد تكون القبائل تعكس الحالة القومية التي نعيشها اليوم، لكن العرب لم يكونوا ممزقين، بل كانت بينهم علاقات دم وعلاقات لغة ونسب، فالعرب كما كل الأمم ينتمون إلى آبائهم، وهكذا تتشكل القبيلة ومنها تتشكل الشعوب، و كما قال الله تعالى: وجعلناكم شعوباً وقبائل، أما مسألة العولمة فهي غير مطروحة في الفيلم، حتى أن حملة أبرهة الحبشي على الجزيرة العربية كانت في عام الفيل، حين لم تكن هناك مثل تلك المفاهيم، ولم تكن هناك ولايات متحدة، فهي كانت أرضا لم يكتشفها العالم القديم، ولا نريد أن نقحم هذه الأشياء بما ليس لدينا.

■ ماذا قصدتم بعنوان الفيلم (المهد)..؟

■ أخذت النص الأول كمادة خام وحافظت عليها وحافظت على اسم (المهد) الذي كان عليه، وكلمة (المهد) تكشف نفسها وأجمل ما في العنوان أنه يفتح مسارات لمحاولة التفكير، فهنا الأرض، وهو المهد وهو الانتماء، والمهد هو ما يتعلق بالذاكرة وهو مرتبط بالذاكرة المعاصرة، وبلادنا العربية مهد الحضارات، وهذه المنطقة مهد التواصل الحضاري الإنساني ، لذا لم أنكر هذا العنوان بل أبديت إعجابي به.

■ لماذا استبعدتم المؤسسة العامة للسينما من إنتاج الفيلم؟

■ ببساطة أنا والأستاذ محمد ملص لم نطرق باب المؤسسة العامة للسينما، كون مؤسسة الريف هي التي دعتنا، ونحن استجبنا للدعوة.

المخرج السينمائي محمد ملص قال انه لا يستطيع أن يرد على الإطراء الذي سمعه إلا بإرجاعه إلى الجهد الكبير الذي يقدمه كل فريق الفيلم الكبير، الذي يعمل ليلا ونهارا من أجل أن يرد على هذا الإطراء السينمائي وليس الشخصي تجاه كل ما قيل حول الفيلم، وأضاف المخرج ملص: أريد أن أحقق هذا الفيلم لنرفع به رؤوسنا كسينما وكموضوع وكفكرة، وأصارحكم أنني كنت أتساءل لماذا هذه الدولة، دولة الإمارات، يوجد لديها كل شيء ما عدا السينما. وجاء هذا المشروع و وراءه كل هذا الجهد والطموح والتحدي ليكون فيلما جيدا يحقق إنتاجاً سينمائياً في دولة الإمارات.

■ فيلم «المهد» كموضوع هل هو فيلم تاريخي؟ ومتى يحق للمخرج أو المؤلف أن ينتقي من التاريخ ويوظف ما انتقاه من أجل فكرة معينة ويستبعد بعض محطات التاريخ؟ وما هو الفرق بين العمل التاريخي والعمل الذي يستلهم موضوعه من التاريخ؟

■ حين أقدم د. رياض نعسان آغا على تحقيق هذه التجربة على صعيد الكتابة وأنجز ما أنجزه، قال لي العبارة التالية «لا تنظر إلى هذا النص كسيناريو يجب أن ينفذ، لقد قدمت لك مادة افعل بها ما تشاء».. ولا أخفيكم كنت أتمنى لو يكتب لي ذلك، ولكني خجلت منه، فقال لي حرفياً: «إن هذا النص هو قماشة طويلة ممتدة عليك أن تصنع منها فيلماً، لأن الفيلم في النهاية، ولأن السينما هي نص منفرد لصورة المخرج»...

وهنا أريد أن أؤكد على نقطة واحدة أن هذا الفيلم ينتمي إلى السينما، بمعنى أن الموضوع يتناول أحداثاً تعود إلى مرحلة من تاريخنا، ولكننا بالاتفاق مع د. رياض نعسان آغا كنا نريد أن نقدم قراءة للمرحلة التاريخية، وليس ادعاء التماهي بداخلها.. واعتبر أن هذا التوجه هو ما سيعطينا مصداقية التعبير، لأننا لا نريد أن نكثر من الادعاء، ولكن نريد أن نقدم الحقيقة كما نقرأها، وكما نريد للمتفرج اليوم أن يعرف لماذا نتحدث عن ذلك دون إسقاطات أخرى، وهذا ما نريد أن نحققه، وأتمنى أن أكون قادراً على تحقيقه.

■ المخرج محمد ملص بدءاً من «أحلام المدينة» إلى فيلم «الليل» يتناول موضوعات راهنة، ألا ترى اليوم أن هذا الموضوع غريب عنك؟ كم يشبهك إخراجياً وأنت من افتتح سينما المؤلف في سورية؟ كيف ترى تجربة إخراج فيلم ليس من كتابتك؟

■ فيما يخص موضوع الغربة وما يخص ما حققه أي سينمائي، دعنا ننتظر ونر الفيلم، ولكن صدقني في كل ما تحقق من مشاهد حتى اليوم لم أشعر بأي غربة لا في الحوار ولا في الشخصيات التي أمام الكاميرا. لنر هل استطعت التعامل مع موضوع آخر لم أكتبه، ومع مرحلة زمنية لا أعرفها إلا عبر الأخبار حتى لا توجد وثائق مكتوبة، دعنا ننتظر لنر الفيلم، هل أستطيع تحقيق فيلم كهذا أم لا؟

■ لماذا يتردى وضع السينما السورية، وكيف يمكن لها أن تستعيد حضورها؟

■ هذا يعود لسياسة السينما في سورية، وللمسؤولين عن السينما السورية، وأنا رأيي ـ أمام صديقي وأخي الدكتور رياض نعسان آغا ـ أقوله بصوت عال: الإشكالية في السينما السورية لا تكمن في المخرجين أو الموضوعات، وهذه السينما منذ 15 سنة وحتى الآن كانت قادرة على إنتاج أكثر من عشرين فيلما، وكنا قادرين أن نصل بأفلامنا إلى كل المنطقة العربية، لكن لماذا نحن هكذا؟ ولماذا السينما على هذا النحو؟ هذا السؤال ليس مطروحاً لكي أجيب أنا عليه، ولكنه مطروح أمام بلدي لتجيب عليه.

■ هل حقا أن محمد ملص لا يعطي نص السيناريو إلى الممثلين إلا وقت التصوير؟ وهل صحيح ما تنشره بعض وسائل الإعلام بأنك تشيع عن كون أفلامك ممنوعة؟

■ هذا خالد تاجا أمامك، اسأله إذا أعطيته السيناريو أم لا، فهو يجيبك، دعني من الشائعات، بالمقابل إذا كانت وسائل الإعلام تشيّع أن أفلامي ممنوعة، فتأكد أنها إشاعة غير صحيحة، لأنني أحلم ولا زلت أحلم وأعمل بكل جهدي من أجل أن تصل أفلامي إلى الناس، لأنني مؤمن بها، وأنا لا أشيع.

إذا أردت الحقائق، فأنا أقول أنه منذ عام 1974 مُنع لي فيلم واحد في سورية «تحت الشمس... فوق الأرض» لا أدري إذا كنت شاهدته، وسامحني على ذلك، لكنني لا أشيع أن أفلامي ممنوعة لأنني لا أحتاج إلى هذه الشائعة.

■ لماذا لا تتعامل مع فنيين وفنانين سوريين؟

■ أنا أتعامل مع مدير تصوير الزوروك من البرتغال، سبق له وتعامل مع أربع أو خمس مخرجين سوريين، ولست الوحيد، نعم أنا أتعامل ليس مع الطاقم الأجنبي، ولكن مع السينمائي الذي أعتقد أنه يحقق لي فيلمي، وأعتقد أنه من حقي أن أستعين بأي فني عندما أدرك قدرته على تحقيق ما أريده فنيا.

أما فيما يخص الممثلين فكل أفلامي تنتمي إلى الممثلين السوريين الذين أعرف أنهم يستطيعون أداء أدوارهم المهمة لدي، وليست خياراتي لممثلين بالمطلق، ولكنني أحمل تقديراً عالياً للممثل السوري، واعتبر أن في سورية ممثلين قليلي الحظ، رغم أنهم مدهشون بطاقتهم وإمكانياتهم، وإحدى النتائج التي توصلت إليها حين حققت فيلمي «باب المقام» أنني قررت الاستعانة ب 90 إلى 95 بالمئة من طاقم العمل من ممثلي حلب، ووجدت قامات مهمة في هذه المدينة، ومن سوء حظي أنني لم أحتج في هذا الفيلم للاستعانة بكل من اعتقد أنهم ممثلون كبار في سورية، ولكنك تستطيع أن ترى اليوم بيننا الكثير من الأسماء الهامة في سورية. كما استضفت، كضيوف شرف، الفنان الكبير عمر حجو، والفنان محمود حامد من حلب، والذي لعب دوراً مهماً في فيلمي «باب المقام».

وأخيراً أقول إن السينما في رأيي الشخصي ليست هوية قومية بل هوية فنية وشكراً.

وفي سؤال للشركة المنتجة حول توجهها لإنتاج هذا العمل السينمائي.. قال الأستاذ هاشم قيسية: الحقيقة نحن نبحث عن أفلام وأعمال متميزة، وقد اتخذنا سياسة جديدة تهدف إلى إنتاج أعمال درامية سورية وخليجية ومصرية كل عام. وحاليا في مجال السينما وإضافة لفيلم «المهد» نقوم بتصوير فيلم «مهمة صعبة» لكاتبه حمدي يوسف، كما نقوم بالتحضير لفيلم آخر سنبدأ تصويره بعد رمضان القادم.

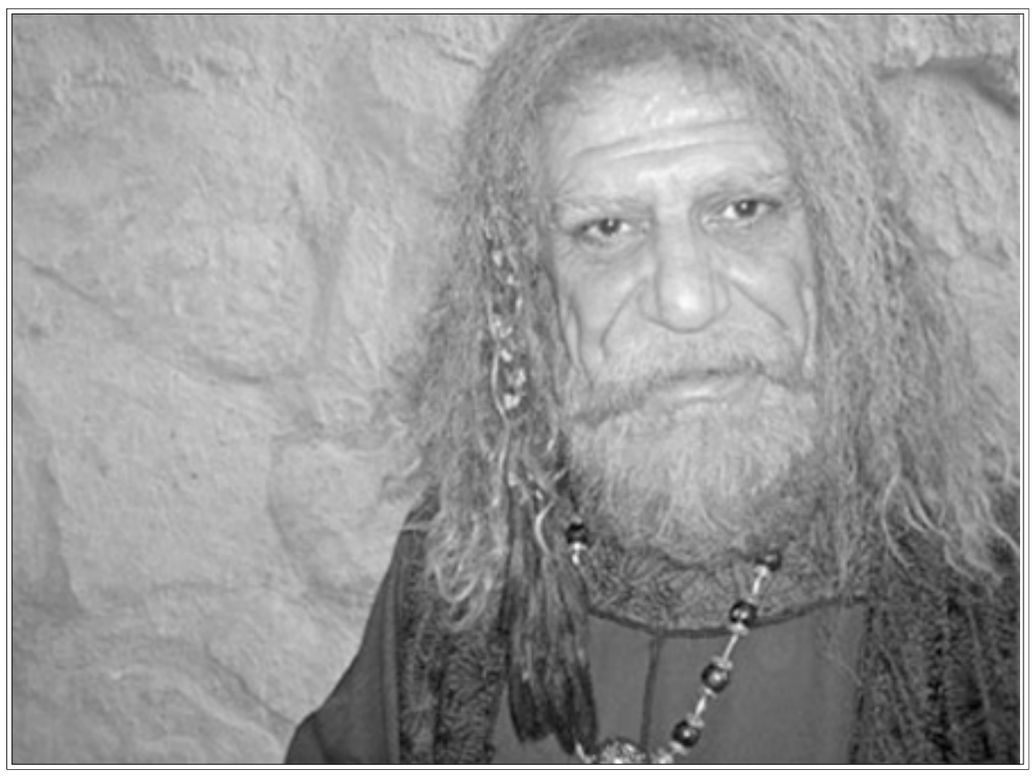

خالد تاجا في مشهد من الفيلم (القدس العربي)

رياض نعسان آغا ومحمد ملص في موقع التصوير (القدس العربي)

تداعيات

حكاية على هامش الأدب والفن

رندة المغربي*

«ثبت قلبك على الصورة العظمى
يأتِ العالمُ إليك يأتِ الجميعُ إليك، والكل في سلام»
التاو تي ـ تشينغ

أهلا منتصف الليل ..
أهلاً بالذاكرة المحكية ..
أهلاً بك أيها الصمت بوزنك الثقيل على منكبيّ ..
وأهلاً بك أيتها الرياح المِهْدَاج، تأتين إلينا بحنين الصوت ..!
وأهلاً بالكَتابة !

قلبي يغرفُ من دمه وأنا أولج القلم في رحم الورق وأكاد أجزم في خلوتي بأن لعينيّ آذانا تسمع همهمات النور المنسكب من سقف الحجرة محدثة أصواتا بليغة لا تلمها لغة ولا ينضدّها لفظ!

ألاحق رأسي بالأسئلة الواخزة، منذ بدأت أعالج مصطلح الرؤية في بدايات مراهقتي في ثورة الشباب في البلاهات التي اجترحتها لأدمي تقليدية الغير وعرفهم بشبقي للخروج على المألوف والاعتداد بالأنا ..!

بالبحث عن سر وجودي عن مصطبة تليق بالأنا، ويا لهذه الأنا كلما أوغلتُ فيها اكتشفت حجم تفاهتها! تبدأ بانفجار لتراوح بين غفلة وإفاقة وتترى عليها الأزمنة لتفضح أكذوبة وجودها لتعري رغباتها البدائية حتى تتضاءل فيأتي الموت منجداً يصعدُ بها لتسمو وترتقي!

لقد تعلمتُ فناً عريقا لم نتعلمه على مقاعد الدراسة ولم يحك لنا عنه أسلافنا إلا اللمم، فن التصالح مع الموت وتسليم أجسادنا وأفكارنا له كهدية فاخرة بطيب نفس .. فجميل أن نموت برضى، أن نغمض الإغماضة الأخيرة بسلام وانتظار لا يشوبه تخبط وبحث عن قشة الغريق ..

أن نقول وداعاً بابتسامة وديعة على وجوهنا مطمئنين بأن هناك رؤى أخرى تنتظرنا هناك حين ينكشف عنا الغطاء ليستحيل البصر حديدا فالرؤية لا تنعدم بالموت والرؤية لا تقف حدودها على عتبة مقلة، فالأعمى يرى وإن لم تصطبغ رؤاه باللون وتلمع بالضوء، هو يرى حين صنع من يديه مآقي ومن أذنيه محجرين تدور فيهما حبات العيون بتصالح مع ألق الفكر.

أتدرون كم ميتة نموت؟ صدقوني ليست واحدة ولست ممن يوثقون وينافحون عن مصطلح العبثية والعدم، فقلبي مطمئن لحقيقة تعدد الميتات يتلوها حيوات أخرى حتى انسلاخ الروح عن الجسد هو موت يليق بصاحبه فالموت عادل لا يظلم أبداً فهو من ينجو بأصحاب الحناجر الماضي عليها حد السكين من حشرجة التشبث بحياة نرجوها عبثا من يد لا ترحم.

وهو من ينجو بالقلب الذبيح وهو يتفطر ألماً لغياب مباهجه..

الموت واحد لا يتجزأ يأتي ليسمو بصاحبه فوق عالم يغدو حشرة يدوسها بقدمه الراحل ويصعد! وهنا لا أتحدث فقط عن موت تقليدي ترتعدُ له فرائصنا ولا أريد أن أغمس القلب العامر بالأمل في أسود الألم ..

هنا أريد أن أدافع عن حق لي وللآخرين بالموت والانبعاث من جديد ..

فقد قص لي أخي قصة حقيقية قد تبدو تافهة للمتلقي في باكورة الحكاية لكنها حتماً ستتعاظم بأهميتها لتغدو هاجساً مريحا يهجس به الحصيف الباحث عن مخرج لمأزق تشعُب الطرق والوجهات أمامنا ونحن نضرب بعصانا يمينا شمالاً علّنا نجد مخرجا ..!

هو رجل فقد بصره في الستينيات من عمره ..

تاجر أقمشة في أحد أسواق الرياض القديمة له حانوت صغير يربض على أحد الأزقة الضيقة وبآخر الزقاق داره، لم يسبق وخرج من محيطه لم يخط خطوة واحدة نحو قلب العاصمة الحديثة .. الزمن يوازيه من الحانوت إلى الدار وبالعكس .. ألف ملمس الأقمشة وتعودت عيناه على الألوان المنسكبة من أمتار القماش المتهدلة بين يديه، مركز الكون له هو زقاقه وجدران حانوته وحجرات داره حتى أتته يوماً دعوة قلبت حياته!

دعوة إلى المنطقة الشرقية في السعودية لحضور حفل زفاف حيث رمل الصحراء يتدرج بملحه من ملح قفر إلى ملح شاطئ بحري للخليج العربي فزم هذا الرجل «بقجته» وسافر لأول مرة نحو الشرق. وبعد حفل الزفاف ذهب مع الأصدقاء لرؤية البحر في صبيحة يوم فاصل في حياته!

هل هذا هو البحر؟ يبدو كأمتار من القماش الأزرق اللامتناهية يموج .. يموج ويتهدل على أطراف أصابعه ،هنا قد يقضي عمرا وهو يقيس بذراعه هذا القماش الأزرق ليقصه بمقصه ويطويه بين يدي الزبون، هنا للقماش حفيف مزمجر وهدأة لون مغرية وملمس عميق .. عميق .. عميق!

هنا، على طرف قماش البحر المتموج تحت قدميه وأقدام الأصدقاء دافع بقوة عن مدينته القديمة، عن خصوصية البيئة التي خرج منها عن أفضليتهم على الغير/الآخر.

هنا عرف لأول مرة الصدام مع الغير وهو الغريب بينهم.. بالعادة يصطدم بالآخر وهو في مدينته فيكون الآخر غريبا مآله العودة من حيث أتى ..

لكنه اليوم يدافع بحذر ويفخر متحاشيا الشجار طالما المثل يقول : دارهم ما دمت في دارهم وأرضهم ما دمت في أرضهم!

عاد صاحبنا بعد رؤية البحر إلى زقاقه ومركز كونه متشبثاً بخصوصيته ومتحمساً لهويته عاد ليقص لأهله ما رأى واستهجن من قاطني المدينة الأخرى وغفى مطمئناً بأن الأنا هي الأفضل وبأن الوطن زقاق وحصباء طريق ألفها تحت قدميه وعُرف يسترخص دمه بالذود عنه . لم يكن على دراية بأن صباحه الجديد يحمل له موتاً للبصر موتاً يشل وجهته ويتلاعب بمهنته كتاجر قماش احترف قلب الألوان دراهم بين يديه!

لقد استيقظ أعمى! فهل جربتم أن تستيقظوا عميانا؟ تفتحون وتغلقون أجفانكم عشرات المرات وما من ضوء أو لون يترجمه العقل؟

أن تتلمسوا أجفانكم لتتأكدوا من أنها مفتوحة فتفجعون من جل الخطب؟ أي شهقة؟ أي صرخة؟ أي فزع سيسعف العقل حينها! .. فلو كنتم الآن مثلي تسمعون صوت الكتابة ستدركون ماذا يعني صباح لا نور فيه!

وهذا ما دفع به للركض صوب أول طبيب عيون عله يداويه ..

بدأ الطبيب يسأله فاحصا عينيه عن الأيام الفارطة فروى له ما حدث وأين كان وكيف أصبح فلم يكن تشخيص وعلاج الطبيب له إلا قطرة عيون عادية وراحة مصحوبة باسترخاء وأن يعيد مراجعته بعد أسبوع ..

وبالفعل بعد يومين لا أكثر استيقظ أيضا ذات صباح على الضوء الوديع ينسج له اللون كيفما دارت مآقيه! فهرع إلى طبيبه مبشراً وخائفاً من عمى آخر وموت آخر يدهمه في غفلة! لم يجد الطمأنينة إلا حين شرح له الطبيب أن علاجه لم يكن بقطرة العين بل بالمصالحة مع الأنا والغير بالاسترخاء وإعادة التأمل ناهلاً من الذاكرة لحظات عاشها في محيط الغير ..

فالعمى الذي أصابه لم يكن إلا نتيجة حتمية للعين التي ألفت الأفق الضيق والمساحات المحدودة للرفض الغريزي بداخلنا للمتغير والوافد علينا بالخوف من الانصهار في بوتقة تلم أطيافا وأنساقا متعددة بالنظر بعيداً ومعانقة الآفاق المشرعة للجميع. وهذا ما دفعني الى أن أعزز إيماني بحقنا في الموت والرفض كنتيجة طبيعية تسبق حياة جديدة بها وعي ورؤية متفهمة للآخر للأنساق والآفاق العديدة من حولنا .. بأن نتفهم رفض الآخر للتغيير ونتأكد بأنها مرحلة لن تدوم وبأن الموت يخضع لحتمية البعث!

لا أدري كيف فهم هذا الرجل ما ألمه لكن أخي أحب أن ينهي قصته بنهاية سعيدة فأخبرني أن هذا المسن أصبح يذهب من وقت لآخر للبحر ليتصالح مع الأفق والآخر المختلف عن الأنا وألف الأزرق اللامتناهي أمام عينيه بل عشقه أيضاً كوطنه كزقاقه كالقماش المدبوغ بالأزرق يذكره بموت مؤقت للبصر وبعث أبدي لرؤية لا تأتي إلا من صاحب بصيرة يرحب بالموت كمرحلة لا أكثر!

* كاتبة من السعودية تقيم في باريس

العلاقات الأردنية ـ البريطانية 1951 ـ 1967

بيروت ـ «القدس العربي»:

صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية يوم الاربعاء 7 حزيران/ يونيو 2006 كتاب «العلاقات الاردنية ـ البريطانية 1951 ـ 1967» للدكتورة سهيلا سليمان الشلبي ضمن سلسلة اطروحات الدكتوراه.

تركز هذه الدراسة على العلاقات الاردنية ـ البريطانية بين 1951 و1967 وهي مرحلة شديدة الدقة في حياة الوطن العربي حيث برزت آنذاك تحولات عديدة ومتغيرات كثيرة، وانعكاسات استراتيجية واسعة ما زالت تفعل فعلها، وتؤثر تأثيرا عميقا في الوضع العربي على وجه الخصوص حتى يومنا الحاضر.

وتتميز منهجية البحث بموضوعية مشهودة، وبمقارنات مستندة الى الوثائق، فتضع القارئ العربي امام حقائق عديدة، تاريخية وسياسية، قلما جرى عرضها في سياق اكاديمي منتظم، وتقدم له صورة شاملة لحركة التطورات في تلك المرحلة العربية بين 1951 و1967 وان يكن المحور الاساسي مركزا على جذور العلاقات الاردنية ـ البريطانية وظروف نشوء دولة الاردن.

الدكتورة سهيلا سليمان الشلبي
ـ من مواليد الاردن 1/11/1963.
ـ من مؤلفاتها:
دور توفيق ابو الهدى في السياسة الاردنية 2004
ـ موقف الولايات المتحدة الامريكية من القضية الفلسطينية 1945 ـ 1949 من خلال الصحف السورية بالاشتراك مع الدكتور محمد عبد القادر خريسات 2006.

أربع قصائد

جمانة مصطفى*

زررت الحكاية قميصها

أجهل أسماءها..
تلك الطيور التي حلقت فوق كلامي
أعلق الحذوة في باب الدار
لعل العتبة تبتسم
ولا أتكبد عناء الوداع
أو أوشوش الأشجار بالغياب
حيث استمعت الغرف لأندر الأسرار
وبالغت في تعرقها
وعصرت القابلة رحم الصمت
فولد الكلام
حيث مقبرة بلا شواهد
لأمسيات التحديق في الساعة
وحيث الأصنام لا يزال يعبدها الميتون
أتمَّ الوقت كلمته
زررت الحكاية قميصها
وخرجت..

قرابين النسيان

تـقُطرُ البنفسج
تدهنُ الإبطين
وتنزوَي تحتَ عرشِ الفراغ
تهبّ الأسماء
قرابين للنسيان
المنتظر في الأسفل
وَحْدهُ الفجرُ الأبيض
تعرف اسمه..
ويذكر وجهها.

خالية الوفاض بحلة الرضا

نعيق الغراب الصباحي
محض طبيعة
أرى العالم يراقبني بمنظاره
ولا يلحظ أبعد من إطلالتي من قبري
أكذوبة
أحزاني.. أصحابي.. أشيائي المبعثرة..
أكذوبة
ارتماءاتي قرب النافذة
أحدق في المطر
دمي حقيقة قصوى
يتعربش الجدران
يجود عليها بآدميتي
فتشهق بالبكاء
الخزانة ملأى بالخدوش
ودروع الحب المهزومة
وأعقاب السجائر تحت سريري
ممثل بها..
يحتمل هذا الجنوح بضع نهايات
أهمها..
أن أخرج خالية الوفاض بحلة الرضا.

في عالم البشر القديم

لم يقطن الأحد
في رحم الوقت طويلا
ولم يخذل أجراس الكنائس
للقديم خلوة تشبه الغياب
تتبرج بالحنين
بيد أن للجديد سطوة
رقصة الشهوانيين
هي هي..
محتساة على مهل
وبطن الجبل هو هو..
كم مرة
ولدت فيه نكراتي
ولم أعطهم أسماء
ولا حليبا
لدي جديد
في عالم البشر القديم
لديه أنا
محمومة بذلك الصفي
المتقلب المتلاعب
المتكالب عليّ..
يختبئ في الجحور
بخفر الثعابين المعمرة
ويصبر
برصانة الصخر المتكون
في الأرض..
تركت له سفينتي
وقرصناتي
لأن لديّ أنت!

* شاعرة من الاردن